

الفصل السابع

من هو يسوع؟

سؤال لا يمكننا التفاوضي عنه اذ بجوابته يتعلق تفسيرنا للأناجيل . احدى الطرق التي تمكنا من وصف من هو يسوع تكمن في تحليل الاسماء التي اطلقها عليه الآخرون او التي اطلقها هو على نفسه . وهناك طريقة اخرى تعتمد دراسة اقواله وافعاله . سنتناول في هذا الفصل معنى اسماء يسوع وفي الفصل التالي تعليمه كما وصل اليها بالامثال والعجائب .

عندما حاول معاصرو يسوع الكشف عن هويته ، كانوا يتحدثونه باحدى الشخصيات المرتبطة بالتوقعات الماسيانية التي كانت منتشرة بين اليهود . فظنه اناس بأنه يوحنا المعمدان وظنه آخرون بأنه ايليا وذهب البعض الآخر الى انه « احد الانبياء » (مر ٨ : ٢٧ وما يوازيها) . قطع هيروديس انتيباس ابن هيروديس الكبير رأس يوحنا ، ولكن « الكل آمنوا أن يوحنا كان نبيا » (متى ٢١ : ٢٦) . وانسانا « بارا وقديسا » (مر ٦ : ٢٠) . وكان من المتوقع ان يأتي ايليا ثانية قبل ظهور ماسيا . وحسب تقليد العهد القديم هناك رجلان لم يموتا ، هذان الرجلان هما ايليا واخنوخ . فاخنوخ سار مع الله و « اخذه الله » دون ان يمر بتجربة الموت (تكوين ٥ : ٢٤) .

وأما إيليا « فصعد في مركبة الى السماء » (٢ ملوك ٢ : ١١) .
 هذا التقليد قوى الاعتقاد بأن إيليا سيرجع « قبل ان يأتي يوم الرب
 العظيم والمخيف » (ملاخي ٤ : ٥) (١) . ومما اعتقده اليهود ان
 يسوع هو النبي الذي كان موعودا به في الايام الاخيرة ، عندما يقيم
 الله نبيا مثل موسى (تثنية ١٨ : ١٥) يكون « النموذج الاول للنبي
 الحقيقي » (تثنية ٣٤ : ١٠ - ١١) . لذلك اعتقد الشعب ان يسوع
 كان ذلك النبي أو موحدًا مع يوحنا القائم من بين الاموات أو إيليا .
 وبالتالي فليس هو المسمى بل إشارة الى ان العصر الماسياني آت
 قريبا .

سأل يسوع تلاميذه : « وانتم من تقولون اني هو » — والتشديد
 هنا على « انتم » (hymeis) — فاجاب بطرس الناطق باسم
 الجماعة : « انت المسيح » (مر ٨ : ٢٩) . اي انت المنقذ المنتظر .
 هذا الاعتراف الذي جرى في قيصرية فيلبس يمثل تحولا اساسيا في
 حياة التلاميذ . فاذ كانوا مقربين اليه ، رأوا فيه اكثر مما رأى الآخرون
 واعترفوا به انه المسيح . لكن هذه التسمية وحدها لم تكن كافية
 لوصف شخص المسيح وعمله . وبدون ان يرفض اقرانه بالملك
 الماسياني الذي كانت تتوقعه الاوساط اليهودية الشعبية ، أخذ يسوع
 يعلم حقيقة مايسانيته ، فاختار وجمع وحول اسماء ماسيانية قديمة
 ليخرج منها شيئا جديدا (٢) .

المسيح (في اليونانية Christos والعبرية Mashiah)

كلمة « مسيح » تعني الممسوح اي المنتظر الذي سيأتي من
 نسل داوود . فإله وعد داوود بأن بيته ومملكته وعرشته سيقومون
 الي الابد (٢ صموئيل ٧ : ١٢) . وسيعود اسرائيل الي سابق
 عهده ، فمتحد الارض المقسومة مرة ثانية ويحكمها ملك واحد .
 « سيكون خادمي داوود ملكا عليهم ، وسيكون لهم جميعا راع
 واحد » (حز ٣٧ : ٢٤) ، اي سيكون داوود ملكا على اسرائيل الموحد
 الي الابد (حز ٣٧ : ٢٥) . فيما بعد وعندما قوي التعلق بالقومية
 اليهودية ، وخاصة في العصر الهليني ، أخذ الرجاء الماسياني معان
 سياسية . فكان معاصرو يسوع يتوقعون مجيء زعيم قومي وملك
 قوي يلعب دور مسيح الرب ويخلص شعبه من النير الروماني ويعيد

الملك الى اسرائيل . وكانت الجموع التي تقبلت بغبطة كلام يسوع وتلاميذه تشارك في هذا المفهوم لحيء ماسيا . وقد استمرت في هذا الفهم وهذا الرجاء حتى النهاية .

عندما دخل يسوع اورشليم على ظهر الحمار ، الحيوان المسالم ، اوضح للجميع انه ملك لا يريد استخدام السيف ، لكنه يحمل للعالم سلاما وسيوجد علاقة جديدة بين الله والانسان . لكن الجموع كانت ما تزال تتطلع الى ملك من نوع آخر . ولقد اثبت الانجيليون الى التوتر بين التوقعات الماسيانية للشعب والماسيانية التي حققها يسوع . وقد انعكس هذا التوتر في تصرفات الجمهور تجاهه والتهافتات التي استقبلوه بها . « والجمع الكثير فرش ثيابه في الطريق . . . وكانوا يهتفون قائلين اوصنا لابن داوود ، مبارك الاتي باسم الرب » (متى ٢١ : ٨ - ٩) . فالجموع ارادت ملكا يختلف عن ذلك الذي يمثله يسوع الراكب على اثنان (زخريا ٩ : ٩) . وتوقعت ان يكون يسوع ملكا مثل ياهو (٢ ملوك ٩) الذي فرش الجمع امامه ثيابهم ونفخوا بالبوق وصرخوا « ياهو هو ملك » (٢ ملوك ٩ : ١٣) . كان ياهو هذا ملكا ثورويا دمويا . وهذا ما ارادته الجماهير ان يكون يسوع ملكا لا يتردد في استعمال السيف لتحقيق احلامها القومية . هذا الشعور شارك به التلاميذ . وبطرس الذي اعترف بان يسوع هو المسيح لاقى صعوبة في فهم تعليم يسوع عن ابن الانسان والامه . وبما ان التوقعات الماسيانية آنذاك لم تكن تربط الالام والالوهة بماسيا ، هكذا فعل التلاميذ بالنسبة ليسوع . ايا يسوع فظهر مسيحا متألما ومثالها بان وبالغالي كشف عن نفسه بطريقه غير متوقعة .

وجتى في اليوم « الاول من الاسبوع » الذي هو يوم قيامة المسيح ، كان رجاء الخلاص القومي ما زال يدور في خلد التلاميذ . وكان اثبات منهم في حالة من اليأس جعلتها غير قادرين على تصديق النسوة اللواتي وجدن القبر فارغا بان يسوع حي كما قال الملك . « وكانا يتحادثان عن تلك الحوادث كلها وفيما هما يتحادثان ويتساءلان ، دنا منهما يسوع نفسه وكان يسير معهما . ولكن امسكت اعينهما عن معرفته » . فأخبره احدهما وهو كليوباس عن ادانة يسوع الناصري وصلبه وعن خيبة الامل التي كانت معلقة عليه : « كنا نرجو انه هو المزمع ان يفدي اسرائيل » (لو ٢٤ : ٢١) . الايمان

بالتقامة وحده يمكنه التغلب على هذه « الآخروية القومية »
ويضمدها .

يفترض البعض ان السؤال التالي الذي وجه الى المسيح قبل
صعوده بقليل : « يارب ابي هذا الزمان ترد الملك الى اسرائيل ؟ » ،
(اعمال ١ : ٦) يتعلق ايضا بمطامع قوميته . لكن جواب
المسيح : « ليس لكم ان تعرفوا الاوقات والازمنة التي جعلها الاب في
سلطانه » (اعمال ١ : ٧) يعيد السؤال الى يوم الدينونة الاخير
وليس الى اعادة السلطة السياسية الى اسرائيل . وهكذا اراد يسوع
افهامهم ان السؤال لا يمت بصلة الى اعادة الملك الارضي لاسرائيل
بل الى مجيء المسيح الثاني (٣) . ويكون بالتالي قد استفساد من
المناسبة لتصحيح آراء تلاميذه الماسيانية ونقلهم عن معتقداتهم
التقليدية الى مفهوم جديد وارفع لمسيا .

لقد ارتضى يسوع ان يطلق عليه لقب المسيح . ومع المراه
السامرية قبل اللقب دون تحقق (يو ٤ : ٢٥ - ٢٦) . لعل تلك يعود
الى ان مفهوم السامرية للماسيانية لم يكن يحمل معاني سياسية وان
حمل تقنيا جدا (٤) . فكلمة « المسيح » كما كانت تستخدم ايام
المسيح لم تكن تعبر بشكل صحيح عن ماسيانية يسوع وشخصه ،
لكن الكنيسة استخدمت هذه الكلمة بعد العنصرة ، دون اي تخوف
من ان تحمل معنى سياسيا .

ابن الانسان وخادم الرب المتالم

استخدم يسوع عبارة « ابن الانسان » ليعين معنى كلمة
« المسيح » . ووجد بين « ابن الانسان » و « خادم الرب المتالم »
ليحمل الينا فكرة الالام والسيادة يان . وعندهما سأله تلميذ الكهنة
« هل انت المسيح ؟ » ، اجاب : « انا هو » . ويسترون ابن الانسان
جالسا عن يمين القدرة . (مر ٤ : ٤١ - ٤٢) . ان عبارة « ابن
الانسان » ، في تعليم يسوع ، لها الاولوية على عبارة « المسيح » . ومن
المهم الملاحظة ان تعبير « ابن الانسان » ورد في الانجيل الاربعة وفي
كل مصادر التقليد (مرقس ، L, M, Q) وان يسوع وحده يستعمل
هذا التعبير . وقد وردت هذه العبارة اكثر من ٨٢ مرة على السنان

يسوع . فعندما كان يتكلم عن عذابه وآلامه وموته كان دائما يشير الى كونه « ابن الانسان » . ولما وصف وضعه الانساني المتواضع استعمل عبارة « ابن الانسان » : « للشغاليل او جزة ، ولطيور السماء اعشاش ، واما ابن الانسان فليس له موضع يسند اليه رأسه » (لوقا : ٩ : ٥٨ ، متى : ٨ : ٢٠) . هذا احد معاني عبارة « ابن الانسان » . ويمكن استنتاج معان اخرى في اقوال يسوع التي تشير الى سلطانه على معقرة الخطايا وسيادته على الشر واخيرا مجيئه الثاني : « ومتى جاء ابن الانسان في مجده وجميع الملائكة معه فحينئذ يجلس على عرش مجده » (متى : ٢٥ : ٣١) . لقد كان مجيء ابن الانسان الاول متواضعا ، لكن مجيئه الثاني سيكون بهجد . هذان الحضوران يجمعهما ويوحدهما شخص واحد عاش في فقر مدقع لكنه يجلس الآن « عن يمين الاب » وسيأتي في ملك مجده . اذن فلقب « ابن الانسان » يعبر عن ناسوت يسوع وعن الوهيته .

تشير الانجيل الى ان يسوع لفت انتباه اتباعه الى بعض الآيات في العهد القديم التي تساعد على فهم دوره ومكانته في تدبير الله الخلاصي . في تنبؤه عن موته وقبضته دمج يسوع نصين في العهد القديم هما الاصحاح ٥٣ من اشعيا والاصحاح السابع من سفر دانيال . لعل هذين النصين اكثر النصوص اهمية في العهد القديم لفهم رسالة يسوع وشخصه . الاصحاح ٥٣ من اشعيا يتألف من ١٢ آية ، واحدة منها فقط غير مستخدمة في العهد الجديد . اما الآيات الاخرى فاما ان تكون مستشهدا بها او مشسرا اليها في الانجيل واعمال الرسل ورسائل بولس ورسالة بطرس الاولى . وفيما يتعلق بالاصحاح السابع من دانيال فهناك رجوع اليه في كل الانجيل ورسائل بولس وسفر الرؤيا بالاضافة الى التلميح غير المباشر في مقاطع اخرى (٥) .

اما الآيات الأساسية في الاصحاح السابع من دانيال فهي :

« ورأيت في رؤى الليل ، فاذا مثل ابن الانسان آتيا على سحاب السماء فبلغ الى قدس الايام وقرب الى امامه ، واوتي سلطانا ومجدا وملكا ، فجميع الشعوب والامم والايستة يعبدونه وسلطانه سلطان ابدي لا يزول وملكه لا ينتقض » (٧ : ١٣-١٤) .

ولكن ابن الانسان الذي ينصر « قديسي العلي » (٧ : ١٨) يعطى ملكا ابديا . وابن الانسان هذا هو ملك الملك الابدي وماسيا . وفي الكتب الابوكريفية اليهودية وخاصة في اخنوخ الاول للعاصر لدانيال (١٦٠ ق م .) يصور « ابن الانسان » على انه فرد اكثر منه شخصية جماعية . وسواء اكان التشديد على الجماعة ام على الفرد فان ابن الانسان يظهر كائنا متعاليا وسماويا . كل هذا يناقض التوقعات الماسيائية الشعبية في ايام يسوع بالرغم من تأكيد يسوع في جوابه لبيلاطس ان مملكته « ليست من هذا العالم » (يوحنا ١٨ : ٣٦) .

الانتقال من الشخصية الجماعية الى الشخصية الفردية يرى (يضم الياء) في اناشيد خادم الرب المتالم (اشعيا ٤٢ : ١ - ٤٩ : ١٠ - ٤٦ : ٤٠ - ٤٩ : ٥٢ - ١٣٠ : ٥٣) من هو هذا الخادم المتالم ؟ انه شعب الله وفرد في آن . فهو احيانا واحد مع اسرائيل و احيانا اخرى فرد يتجاوز دوره دور الامة وامكاناتها وحتى دور « القتيبة المقدسة » . في هذه الاناشيد نجد تطلعا مضطردا للشخصية الجماعية يرافقه تعاضل متزايد للشخصية الفردية . في الاناشيد الثلاثة الاولى لا تعرف متى يقصد النبي في حديثه الامة ومتى يقصد الفرد . ففي النشيد الاول يطعن الطابع الجماعي اما في الثاني والثالث فيتضائل هذا الطابع تدريجيا الى ان تدوب شخصية الجماعة كليا في النشيد الثالث في شخصية فردية . اما النشيد الرابع فيتكلم بوضوح عن شخص الامة جزء رئيسي في رسالته وليست نتيجة لها (٦) .

لقد اطلق يسوع على نفسه لقبى « ابن الانسان » و « الخادم المتالم » مماثلا نفسه مع الصورة الرفيعة لابن الانسان ومنمما دور خادم الرب المتالم . يسوع ظهر الى الوجود شعب جديد لله . واصبح يسوع بداية وراس وممثل هؤلاء الذين يتبعونه ويشاركون في مصيره . هذا هو الشعب المتالم والخادم المتالم الذي سينصره الله في النهاية .

وقد وجد يسوع في حياته على الارض بين « ابن الانسان » و « الخادم المتالم » . وكان هو ابن الانسان الذي اتى ليتالم . اما في دانيال واخنوخ فلا يقدم لنا ابن الانسان كشخص . واما في الانجيل فهناك اشارات ضمنية عديدة الى آلام يسوع المستقبلية والى

موته ، وكذلك نبؤاته العلنية عن رذله وآلامه وموته وقيامته .
 في النبوءات الثلاث عن الآلام نجد دائما ان « ابن الانسان » هو
 « الذي سيتألم كثيرا » (مر ٨ : ٣١) و « سيسلم الى ايدي
 الناس » (مر ٩ : ٣١) و « الى رؤساء الكهنة والكتبة »
 (مر ٩ : ٣٣) . وفي هذه النبوءات يتكلم يسوع عن آلامه
 الشخصية . فهو كالخادم المتألم « رذل ورفض من الناس » وصار
 « رجل اوجاع ، جرح من اجل معاصينا » (اشعيا ٥٣ : ٣-٥) .
 وكالخادم « اذل واوهين لكن لم يفتح فاه » (اشعيا ٥٣ : ٧) .
 الرب ان يضرب الخادم ويحزن وهي ايضا في انه « يسرى ذريته
 واستطول ايامه » (اشعيا ٥٣ : ١٠) . وهذا ما حصل لابن الله المتجسد .
 فقد « طالت ايامه » لان الله اقامه وحرره من سلطان الموت « اذ لم
 يكن ممكنا ان يمسه الموت » (اعمال ٢ : ٢٤) . ومجرى الاحداث
 في اشعيا ٥٣ من اهانات وادانة وطول العمر نجدها تنعكس تماما
 في النبوءات الثلاث عن آلامه . ففي كل منها يشير يسوع الى آلامه
 وموته وقيامته (٧) . ولقد استخدم يسوع نفسه في تفسير رسالته
 الماسيانية بصورة ابن الانسان الذي اتى من العلى بصورة خادم
 الرب الذي « حبل خطايا كثيرين ، وابتهل من اجل الغصاة »
 (اشعيا ٥٣ : ١٢) .

في الانجيل الرابع وفي الاناجيل السينائية يتحدث يسوع عن
 اذنته وقيامته . في الانجيل الرابع نجد الاموال الثلاثة التالية تنبأ
 عن الآلام : « وكما رفع موسى الغصاة في البرية هكذا ينبغي ان يرفع
 ابن الانسان » (٣ : ١٤) ، « اذا رفعتم ابن الانسان مخيبتد تعرفون
 اني انا هو واني لست افعل شيئا من عقدي ولكن كما علمني الاب
 كذلك افعل » (٨ : ٢٨) ، « اذا ارتفعت عن الارض جذبت الي
 الجميع » (١٣ : ٣٢) . المقاطع الثلاثة تشير الى ان ابن الانسان
 مزمع ان يذبح ويتمجد . ويستخدم الانجيل فعل ارتفع *hypsothenai*
 بمعنىين مختلفين ، الاول يدل على صليب يسوع والثاني يعني تمجده
 الذي سيكتمل بالقيامة والصعود . ويشير المقطع الاخر وكذلك
 الابن الاول الى ابن الانسان بالرغم من انها لم تسجده مفيدا
 المقطع هكذا : « فقد اتت الساعة التي يمجده فيها
 ابن الانسان » وينتهي : « تكلم يسوع بهذا ثم مضى

وتوارى عنهم « (١٢ : ٣٦) . وبعدهما تكلم يسوع للمرة الثالثة عن «رفعه» ، اضاف يوحنا : « انما قال هذا ليدل على اية ميتة كان مزمعا ان يموتها » (١٢ : ٣٣) . فاحتجت الجموع : « قد سمعنا من الناموس ان المسيح يدوم الى الابد (٨) فكيف تقول انت انه ينبغي ان يرتفع ابن الانسان . من هذا ابن الانسان ؟ » (١٢ : ٣٤) . لقد فهمت الجموع ان يسوع يتحدث عن موته وفي ذهنها يستحيل الربط بين ماسيا والموت .

لا تكشف نبوءات يسوع عن آلامه اية رغبة مرضية في الاستشهاد لأن هدفه كان ان يعمل مشيئة الآب ويتم الرسالة التي ارسله الآب من اجلها (٩) . لقد اراد يسوع ما اراده الآب جاعلا مشيئة الآب مشيئته . « ان الابن لا يقدر ان يعمل من نفسه شيئا الا ما يرى الآب يعمله لأنه مهما يعمله ذلك فهذا يعمله الابن ايضا على مثاله » (يو ٥ : ١٩) . عندما تنبأ يسوع عن موته اثار في الوقت ذاته الى قيامته . فكانت حياته رحلة تبدأ من الآب وتنتهي اليه . كذلك تكلم عن النصر الذي سيحرزه على الصليب وبواسطة الصليب . والقيامة كشفت عما تحقق على الصليب . اما الجموع فلم تستطع ان تعي بأن موت يسوع سيكون ذروة رسالته العامة وبداية نوع جديد من الحياة .

ابن ورب

لم تقتصر القاب يسوع على « المسيح » و « ابن الانسان » و « الخادم المتألم » ، بل تجاوزتها الى القاب منها لقبان يكشفان امورا جديدة عن يسوع وماسيانيته وهما : « الابن » و « الرب » . تحتل البنوة الالهية مكانة بارزة في انجيل القديس يوحنا . فالله الآب بذل ابنه الوحيد لأجل خلاص العالم ، « لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما يعمل وسريه اعظم من هذه الاعمال لتتعجبوا انتم لأنه كما ان الآب يقيم الموتى ويحييهم كذلك الابن يحيي من يشاء لأن الآب لا يدين احدا بل اعطى الحكم كله لابنه » (يو ٥ : ٢٠ - ٢٢) . والابن يمجّد الآب الذي « لم يره احد قط . الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو اخبر » (يو ١ : ١٨) . وكما في انجيل يوحنا نجد في الانجيل السينائيكية أن موضوع البنوة الالهية قد طرقت . « كل شيء قد دفع الي من ابي ، وليس احد يعرف الابن الا الآب ولا احد يعرف

الآب الا الابن ومن يريد الابن ان يكشف له « (متى ١١ : ٢٧ ،
لو ١٠ : ٢٢) (١٠) .

لقد عبر يسوع عن يقينه المطلق (متى ١١ : ٢٧) بأنه يعرف
الله معرفة كاملة (١١) ، معرفة تفوق كل ما ادعاه انبياء العهد
القديم . فهو لاء قالوا بأنهم « رأوا » يهوه « وسمعوه » لكنهم لم يدعوا
اطلاقاً بأنهم « عرفوا » يهوه (الله) . معرفة يسوع هذه لم تكن
تاريخية ولا فلسفية ولم تأت نتيجة الهام بل نتيجة اتحاد شخصي :
« انا والآب واحد » (يو : ١٠ : ٣٠) .

لقد ظهرت بنوة يسوع الالهية في احداث حياته ومن خلال
امثاله . فدعاه الآب أثناء المعمودية والتجلي بـ « ابنه الحبيب »
(مر ١ : ١١ ، ١٠ : ١٧) . وسمى نفسه في مثل الكرامين الاشرار
« الابن الحبيب » (مر ١٢ : ٦) . وكان لهذا المثل طابع السيرة
الذاتية ، ولم يقض اسبوع على اعطائه حتى حكم على « الابن
الحبيب » بالموت .

عندما كان يسوع يعلم في الهيكل استشهد بالزمور ١١٠
سائلاً : « كيف يقول الكتبة ان المسيح هو ابن داوود ؟ » ، ما دام
داوود نفسه قد قال : « قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اجعل
اعدائك موطئاً لقدميك » . ثم اضاف قائلاً : « فداوود نفسه يدعوه
رباً فكيف يكون هو ابنه ؟ » (مر ١٢ : ٣٥ — ٣٧) . يظهر من
تساؤل يسوع ان لقب « ابن داوود » الذي كانت له جذور عميقة
في التوقعات الماسيانية الشعبية لم يكن كافياً للتعبير عن ماسيانية
يسوع ولم يعط الطريق الصحيح لايجاد جواب قاطع عن هوية
يسوع وهدف عمله الخلاصي . فمن دون ان يرفض يسوع لقب
« ابن داوود » قاد سامعيه الى الايمان بأن ماسيا هو ارفع من ابن
داوود لا بل انه رب داوود . وجمعه لقب « ابن داوود » و « الرب »
يكون قد رفض الصبغة السياسية التي كانت تحيط بكلمة « ابن
داوود » . وكذلك حذت الكنيسة الاولى حذو يسوع في هذا التفسير
معرفة يسوع « بالرب » وانه ابن لداوود « بحسب الجسد » .

كان لقب « رب » اقدس اسم يمكن للكنيسة ان تطلقه على
المسيح القائم من بين الاموات (١٢) . واولى الصلوات الارامية كانت

تحوي العبارة : « ماران اثا ، ايها الرب تعال » (١ كور ١٦ : ٢٢) ؛
 فباستعمالها كلمة « رب » تكون الكنيسة في اورشليم الحقت بالمسيح
 المجد الالهي الذي كان يخص في السابق يهوه وحده . لكن بعض
 علماء العهد الجديد يؤيدون الترابي القائل بأن لقب « الرب »
 (كيربوس) قد اطلقت على المسيح الكنائس اليونانية وليس كنيسة
 اورشليم . وبالتالي فالكنائس ذات الاصل اليهودي لم تستعمل هذا
 اللقب اطلاقا . ولكن اسفار العهد الجديد كلها لم تشر الى اي جدل
 قام بين الكنيسة الأم والجماعات المسيحية اليونانية الاصل حول
 منح يسوع لقب كيربوس (١٣) . ليس مستغربا ان يكون اليهود
 المتدينون في العالم الهليني آخر من يستطيع الاعتراف بان المسيح
 هو « رب » . وكان لا بد من حدوث شيء فوق العادة في حياتهم
 واوساطهم حتى يؤدي بهم الى مثل هذا الاعتراف . وعندما قبلوا
 يسوع واتخذوه ربا اصبح اليهود مؤمنين مسيحيين . وعليه فالبحثة
 الذين يعتقدون ان « اليهود القساة الرقاب » لم يطلقوا على يسوع
 لقب « الرب » قد تجاهلوا ايمان هؤلاء اليهود بالمسيح (١٤) .

ولقد اتخذت الكنيسة تفسير يسوع للاصحاح السابع من سفر
 دانيال وللأصحاح الثالث والخمسين من سفر اشعيا النبي . ان
 مجرى الاحداث المدونة في الاصحاح ٥٣ من اشعيا يوجد أيضا
 في تشيد من اناشيد الكنيسة الاولى الآرامية . وقد ادرج بولس
 الرسول هذا التشيد الذي يتحدث عن يسوع في اطار يجمع بين
 « ابن الانسان » و « خادم الرب المتألم » ويعلن « ان يسوع المسيح
 هو رب » (قتيبي ٢ : ٥ - ١١) . كذلك وجدت الكنيسة في عبادتها
 بين « ابن الانسان » و « الرب » كما فعل يسوع اثناء حياته
 الارضية (١٥) .

السر الماسياني

لقد لفت يسوع الناس اليه كابن لله في افعاليه ومن خلال
 اقواله ، ولكنه في نهاية بشارته كشف نفسه كليا . مع ذلك يؤكد
 مرقس على أن يسوع حاول جاهداً معظم حياته أن يقي ماسيانيته
 سرا . فعندما صرخ الرجل الذي فيه روح نجس قائلا : « مالنا ولك
 يا يسوع الناصري اتيت لتهلكنا ؟ قد عرفناك من انت ، أنك قدوس

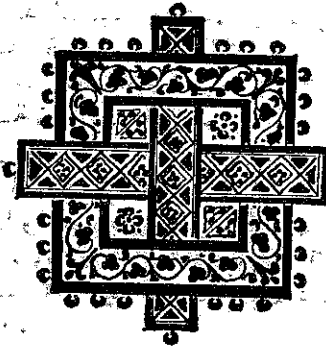
« الله »، أنتهزه يسوع قائلا : « أخرج واخرج من الرجل » (مر ١ : ٢٤) . « وأخرج شياطين كثيرين ولم يدعمهم يتكلمون لأنهم عرفوه » (مر ١ : ٣٤) . « وكانت الأرواح النجسة إذا رآته تخبر أمه وتصرخ قائلة : أنك أنت ابن الله . فميتها كثيرا إلا تظهره » (مر ٣ : ١١ - ١٢) . وعندما أقام ابنة يائرس : « أوصاهم كثيرا بأن لا يعلم أحد بهذا » (مر ٥ : ٤٣) . وكذلك أوصى تلاميذه « أن لا يقولوا عنه لأحد » (مر ٨ : ٣٠) ، وبعد التجلي « أوصاهم ألا يخبروا أحدا بعد إلا متى قام ابن الإنسان من بين الأموات » (مر ٩ : ٩) .

كانت لهذه الحيلة أسبابها الموجبة . فوجود شهود غير مستحيين كان الباعث على طلب يسوع أن يلزموا الصمت . وهكذا تجنب إثارة حماس الجماهير كان وراء منع أي كلام عن إقامة ابنة يائرس . ولأنه كان يعلم ما يدور في خلد الشعب عن الاعتقادات الماسيانية طلب إلى تلاميذه عدم البوح بأنه المسيح . لقد رفض دور ماسيا السياسي لأنه أتى ليخلص الشعب من خطاياهم ويدخله إلى ملكوت الله ، لا ليقوم مملكة أرضية لإسرائيل بعضيان منظم ضد السلطة الرومانية . ومع أن ظل الصليب كان حاضرا عند التجلي (١٦)، ولكن معناه الحقيقي لن يتضح قبل القيامة ، وجب على التلاميذ الثلاثة أن يلزموا الصمت حتى يوم انتصاره على الموت .

بين علماء العهد الجديد من يزعم أن يسوع لم يعلن أبدا أنه ماسيا وإنما الكنيسة اخترعت بعد القيامة « السر الماسياني » . ويقولون بأن العبارات الماسيانية المذونة في الإنجيل ليست ليسوع بل من وضع الكنيسة محاولة بذلك تفسير عدم اعترافها قبل القيامة بيسوع كماسيا . ويصف العلماء أن الكنيسة أمنت بأن يسوع هو ماسيا . ولكن بما أنها لم تحد في أقواله ما يدعم إيمانها لجأت إلى وضع العبارات الملائمة لها وأدعت بأن يسوع طلب من تلاميذه أن يبقوا خبر ماسيانيته سرا . ويقول ويرد « إن لرفيس الإنجيلي حصة الأسد في ابتداء هذا « السر » بيد أن هذا الابتداء ليس عملا فرديا بل إنجاز جماعي » (١٧) .

لو كان السر الماسياني بالفعل من خلق « دوائر معينة » في الكنيسة الأولى لتوقعنا تطبيقا دقيقا لهذه النظرية في كل ما يتعلق « بتاريخ يسوع » . ولكننا لا نجد هذا التجانس في التطبيق في إنجيل

مرقس ، فوجد في بداية الإنجيل يسوع يعطي لنفسه صلاحيات
 الهية عند شفائه الملعن ، فيقول : « يا بني مغفورة لك خطاياك »
 (مر ٢ : ٥) . وقد اعتبر الكتبة ذلك تجديفاً إذ « من يقدر ان يغفر
 الخطايا الا الله وحده » (مر ٢ : ٧) . وهكذا لم يخف يسوع ذاته
 في هذا المقطع ومقاطع اخرى بل اعلن هويته . ويبدو جلياً ان يسوع
 كان يكتفم احياناً سر ماسيانيته ويظهر هذا السر في احيان اخرى .
 ولعل الانجيليين نقلوا من المصادر التي اعتمدوها كل ما يتعلق
 بماسيانية يسوع ، وتبدو لاول وهلة هذه المواد على شيء من
 التناقض . اعلان حيناً واخفاء احياناً ! ولكن هذا الامر يطابق كثيراً
 سر الاعلان الالهي الذي لا نستطيع التعبير عنه بدقة بواسطة
 الأحداث والكلمات . ماسياً اتى ولن يستطيع العيش حتى النهاية
 وكأنه ماسياً « سري » ، فكان لا بد له من ان يكشف عن نفسه
 بطريقة الخاصة ويعلن انه « اكثر » من ماسياً الذي كان ينتظره
 الشعب .



الفصل الثامن

ملكوت الله

كان يسوع يركز في الجليل قائلا : « قد تم الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مر ١ : ١٥) . وأعلن يسوع ان حكم الله الجديد قد أتى وان قدرة الله وسطانته سيتجليان في مملكة الله الجديدة . لقد استخدم يسوع عبارة « ملكوت الله » ليعبر عن حكم الله وملكه ، وعن سيادة مملكته . وعندما صرح يسوع بأن ملكوت الله قد اقترب عنى انه أصبح حاضرا (١) ، وان التوقعات القديمة قد تحققت بمجيئه . فالله الذي كان يفعل في العالم منذ بدء الخليقة أصبح على وشك ممارسة حكمه بشكل مختلف . فلم يترك الله للتاريخ ان يأخذ مجراه الطبيعي بل حركه وأكمل تاريخ الخلاص بإرساله ابنه الوحيد الى العالم .

ان تعليم يسوع عن ملكوت الله يضعه على طرفي نقيض ليوحنا المعمدان وكل الجماعات والحركات الدينية في اليهودية القديمة . فيوحنا كان يركز بان ملكوت الله ، وهو يوم الدينونة ، سيأتي قريبا . اما الربابنة الاقدمون فاعتقدوا بان الملكوت لن يكون في هذا الدهر بل في الدهر الآتي . ولم يتصوروا ابدا انه يمكن للدهرين ان يتداخلوا ، في حين أعلن يسوع ان الدهر الآتي قد دخل في الدهر الحاضر .

فملكوت الله « أتى » و « سيأتي » في آن . وانه « تحقق »
و « سيتحقق » وأن اللحظة الحاسمة قد أتت ولكن النهاية لم تأت
بعد (٢) .

الصفة الآخوية في تعليم يسوع

كان تعليم يسوع آخويا أكثر منه رؤيويًا . أن الفكر الرؤيوي
يتعاطى الشؤون المستقبلية دون الماضي والحاضر في حين أن الفكر
الآخوي يدخل في حساب الماضي والحاضر والمستقبل . فمع
يسوع دخل الزمن المستقبلي وغداً الناس أمام تحدياته وصار عليهم
أن يقرروا ما سيفعلونه الآن في حياتهم الحاضرة . أما الراؤون
اليهود (٢٠٠ ق.م. - ٢٠٠ ب.م.) فقد صوروا المرحلة الآخرة
من التاريخ البشري والدمار العالمي الأخير غير واعين أن الله فاعل
في التاريخ الحاضر . صوروها على أساس أن الله لن يتدخل في
الشؤون البشرية ولكنه سيظهر في النهاية مجده وقدرته وقضاءه
على العالم . كان مهمهم الأول توضيح الخطوط العريضة لأحداث
المستقبل وحساب المراحل التي تسبق النهاية . وشغلوا أنفسهم
بتحديد متى وكيف وماذا سيفعل الله تاسين أنهم بذلك يحذون من
حرية الله وقدرته .

أما يسوع فلم يحدد أبداً موعداً لنهاية العالم بل إنكر معرفته
« بذلك اليوم وتلك الساعة » (مر ١٣ : ٣٢) ، مع يقينه بأن ذلك
اليوم آت حتماً . وكنهية لذلك الحدث الأخير علم يسوع « الفضائل
الآخوية » ، حثا الناس على الاستعداد الدائم والنقطة ، وإن يتطوا
بالصبر والثقة ومؤكداً على أن الإنسان سيقف حتى بعد مجيء
مسؤولا عن الأعمال التي يفعلها في هذا العالم .

الفكر الرؤيوي حتمي الطابع ، فيه المستقبل غير مرتبط
بالحاضر بل يتخمه احتمالياً . ولم يكن في هذا الفكر مكان للإيمان
الإنسان ولا لتوبته وهما العلامتان الذاتيتان إلى استجابة
الإنسان لإعلان الملكوت . ويختلف الراؤون في رسمهم للأحداث
المستقبلية اختلافاً حاداً عن أنبياء العهد القديم . فالنبي ، عندما
كان يتنبأ ، كان يأخذ بعين الاعتبار حالة إسرائيل الحاضرة والعهد
الذي قطعته الله لشعبه . وكانت النبوءة ترتبط عادةً بسلوك الإنسان

وتصرفاته . مثلا كلام الرب الى ارمياء : « اما تستطيع ان اصنع بكم كهذا الخزاف يا آل اسرائيل يقول الرب ، هوذا مثل الطين في يد الخزاف مثلكم في يدي يا آل اسرائيل ، اني بغتة اتكلم على امه وعلى مملكة لا تلغ واهدم واهلك فان رجعت تلك الامه عن شرها الذي من اجله تكلمت عليها فاني اندم على الشر الذي فكرت في صنعه بها » (ارميا ١٨ : ٥ - ٦) . هنا يظهر اله ارمياء النبي الها حيا وشخصيا يهتم بكل الناس والامم .

تحقق ملكوت الله بمجيء ابن الانسان . انه هو الملكوت حسب تعبير اوريجنس (autobasileia) . وعندما ارسل يوحنا المعمدان تلميذه ليسا لايسوع : « انت الاتي ام نتظر » ، اجاب يسوع : اذهبوا واعلموا يوحنا بما سمعتم ورايتما : « العميان يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون » (متى ١١ : ٣ - ٥) . وعندما سألته تلميذا يوحنا عما اذا كان هو ماسيا المنتظر كان جوابه ان ملكوت الله قد اتى وهذا الملكوت هو الحقيقة الحاضرة . الجواب يجد ذاته يدل على تحقيق وعود الله ويشير الى ان ملكوت الله قد اتى . طردت الشياطين اذ « قد اقترب منكم ملكوت الله » (لوقا ١٠ : ٩) .

وفي الوقت نفسه نجد اشارات اكيدة الى ملكوت مستقبلي . اكثر هذه الاشارات وضوحا ما ورد في صلاة يسوع : « ليات ملكوتك » (متى ٦ : ١٠ ، لوقا ١١ : ٢٠) . ولكن كيف يمكن التوفيق بين هذا الملكوت والملكوت الذي اتى بمجيء يسوع ؟ في مجيئه الاول اخذ يسوع صفة عبد وبدأ ملكوت الله في الظلمة ، ولكن في النهاية عند المجيء الثاني سيظهر ابن الانسان وملكوته في كامل المجد والقدرة . ولن يبقى شيء مخفيا بل سيعلن كل شيء ويستصبح للجميع سر يسوع وسر ملكوته ولن تكون هنالك ظلمة في الاعلان الالهي الاخير . وابن الانسان الذي اتى هو نفس ابن الانسان الذي سيأتي وهناك ارتباط عضوي بين الملكوت الحاضر والملكوت الآتي . وقوى الدهر الآتي تفعل منذ الآن في الدهر الحاضر والتفاوت الظاهر بين المجيئين ليس توترا فكريا بل تاريخي . فابن الانسان هو هو في حضوره بيد ان عمله سيتكامل في المجيء الثاني ويصبح واضحا للجميع . وهذه هي قاعدة الفكر الآخروي في العهد الجديد .

لقد قامت عدة محاولات لتفسير التضاد الظاهر في تعليم يسوع حول الملكوت منها نظريتان متطرفتان تزيلان كل « توتر » بين الحاضر والمستقبل . النظرية الأولى تعبر عنها نظرية « الآخروية المحققة » (بضم الميم وفتح القاف) . والثانية توضحها نظرية « الآخروية المستقبلية » . أصحاب النظرية الأولى يعتقدون ان الملكوت قد تحقق ببسوع وخدمته ولا يوجد ما نتوقعه في المستقبل ، أما الة ثلون بالنظرية الثانية فيغالون في التشديد على أهمية الإعلان الجديد الذي سيتم اثناء الحضور الثاني (Parousia) ، ويزعمون ان خدمة يسوع لم تحقق شيئاً . يوجد قاسم مشترك بين النظريتين وهو الفصل التام بين الحاضر والمستقبل وبين الملكوت « التاريخي » والملكوت « الكوني » ، ولكن واحدة منها لا تعبر أو تنقل تعليم يسوع حول ملكوت الله .

نجد في الانجيل آخروية تحققت وآخروية مستقبلية . فالحياة الابدية ، وهي نوع جديد من الحياة ، يمكن عيشها الآن (يو ٣ : ٣٦ ، ٥ : ٢٤ - ٦ : ٤٧ ، و ٥٤) . وفي الوقت الذي يشدد فيه يوحنا على ان يسوع قد أتى بالملكوت نجده يظهر ان الملكوت يستلقي في المستقبل . وستكون الدينونة الاخيرة خاتمة لعمل يسوع : « تأتي ساعة يسمع فيها جميع من في القبور صوت ابن الله فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة والحقين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٨ - ٢٩) . وكذلك يظهر هذا النوع من الآخروية في الخطاب الوداعي ليسوع : « انا امضي لأعد لكم مكاناً ، وان مضيت واعدت لكم مكاناً آتي وأخذكم الي » (يو ١٤ : ٢ - ٣) .

الذين يقولون بان التعليم الانجيلي عن الملكوت هو بمثابة « آخروية ابتدأ تحقيقها » (٣) (inaugurated eschatology) هم فقط الذين أخذوا بعين الاعتبار الصفوية الكائنة في النص الانجيلي بهذا الشأن والتضاد الموجود بين « ما أتى » و « الآتي » . هذان المفهومان للملكوت مختلفان ولكنهما لم يكونا يوماً ما منفصلين . فالإيمان بان المسيح قد غلب ، وبان الحياة الجديدة فيه معطاة بالأسرار في الكنيسة ينزع عن المسيحيين كل شعور بالقلق تجاه المستقبل ويعطيهم الصبر والثقة لانتظار المستقبل .

الملكوت كما تكشفه الامثال

نجد تعليم يسوع عن الملكوت في عدد من امثاله (٤) . « يشبه ملكوت السموات حبة خردل اخذها رجل وزرعها في حقله . فانها اصغر الحبوب كلها ، فاذا نمت صارت اكبر من جميع البقول ثم تصير شجرة » (متى ١٣ : ٣١) . لا تتحدث امثال يسوع عن نمو الملكوت كتطور طبيعي او نمو ذاتي او تغيير سحري بل تؤكد انه نمو عجائبي وتحول يحصل بقدرة الله ويهديه . وكما ان الانسان عاجز عن اجتلاب ملكوت الله الحاضر الى الوجود كذلك لا يمكنه تجاه ملكوت المستقبل الا الصلاة والرغبة في الدخول فيه وان يهيء نفسه لاجل ذلك .

تدعو امثال يسوع المتعلقة بالملكوت الى التوبة التي عبر عنها يسوع في بدء خدمته الخلاصية (مر ١ : ١٥) . كثيرون سمعوا امثاله لكن قلة فقط قبلت دعوتها . قال يسوع لتلاميذه الاثني عشر : « قد اعطيتم معرفة سر ملكوت الله واما اولئك الذين في الخارج فكل شيء لهم بامثال لكي ينظروا نظرا ولا يروا ويسمعوا سماعا ولا يفهموا لئلا يتوبوا فتغفر لهم ذلتهم » (مر ٤ : ١١ - ١٢) . هذه الآية صعبة التفسير ، لذلك لم يشك الا القليل من النقاد بصحتها . ويبدو للوهلة الاولى ان يسوع قد استعمل هذا الشكل من الامثال ليخفي مضمون رسالته عن « الذين في الخارج » . لكن تعليم يسوع لم يكن ابدا سرا اي انه لم يعط « معرفة سرية » كالفنوصيين بل درب تلاميذه وعلمهم واعطاهم بقوله وافعله « سر ملكوت الله » . وهذا وحده كاف لتعريفهم ان نهاية الازمنة حلت عليهم . « سر » الملكوت هذا لم يبق محصورا بقلة من المختارين بل اعلنه يسوع لتلاميذه ومن خلالهم الى الشعب الاسرائيلي كله . ان المثل بالنسبة للذين هم في الداخل مع يسوع واستجابوا للتدانية بالتوبة (metanoia) اعلان « لسر ملكوت الله » . اما بالنسبة للذين هم « في الخارج » فالامثال الفياض واحاج وليست اعلانا بان الملكوت قد اتي . وكلمة مثل في العبرية والآرامية يمكن ترجمتها « ياخضية » (٥) . اما ايستشهاد يسوع بقول اشعيا « اذهب وقيل لهذا الشعب : ستمسمعون سماعا ولا تفهمون ، وتفتخرون نظرا ولا تبصرون » (٦ : ٩) لا يعني ان الامثال قد اعطيت لتفليق اعين الناس ولا

لتقودهم الى الدينونة ائما لتظهر المسؤولية الملقاة على عاتقهم من جراء رفضهم قبول الرسالة التي تتضمنها الامثال . سيعاقب الاشرار من اجل نمط حياتهم ، هذا ما حذر منه اشعيا . الله لا يريد ان يكون الناس اشرارا ، ولكنه لسابق علمه بما سيكونون عليه حذرهم بلسان النبي . هذه الجملة من اشعيا هي الاسلوب المميز في العبرية للتعبير بصيغة الامر عن نتيجة رسالة النبي (٦) . ومهمة اشعيا كانت فتوح عيون الشعب الاسرائيلي ليرى الاعمال التي صنعها الله نيابة عنهم . الهدف من الامثال كان نفسه والنتيجة كانت مشابهة . فعندما قال يسوع : « توبوا وآمنوا بالانجيل » ، لم يستجب له الشعب . وعلى الذي يريد ان يكشف له « سر ملكوت الله » ان يرفض الانتماء الى « الذين في الخارج » وان يتعلم بالتوبة والايان انه حيث يكون يسوع فهناك يكون الملكوت .

تشير الامثال الى يسوع على انه الماسيا مامه الصور التي استخدمها يسوع في امثال الملكوت فهي ليست مجرد لوحات عن الحياة اليومية في فلسطين . صحيح انه رأى الشعب يزرع ويحصد ولكن هذه الصور موجودة ايضا في اسفار العهد القديم . يولابد لنا لفهم مثل الزارع من اخذ خليفته في العهد القديم بعين الاعتبار (٧) . لقد استخدمت الامثال لغرض ماسياني لتعلن ان كل ما كان متوقعا تحقق في اقوال يسوع وافعاله . ان نفهم مثلا بعني ان نتعرف على ماسيا المنتظر في يسوع الناصري .

الملكوت كما تكشفه العجائب

وكما اعطى تعليم يسوع في امثاله ، كذلك اعطى في عجائبه . فطرده للشياطين شهد على ان ملكوت الله قد حضر (لوقا ١١ : ٢٠) ، متى ١٢ : ٢٨) . وان قوة الشيطان قد خضعت دون ان يقضى عليها كليا ، وانه بالرغم من اعتراف الشياطين بالهزيمة (مر ١ : ٢٤) ظلت على مقاومتها ليسوع (مر ١ : ٢٥ - ٢٦ وما يوازيها) . لقد غزا الله مملكة الشياطين ولكن القوة الشيطانية لم تستسلم بل تطلعت الى ضحايا جديدة ، اذ ان كراهيتها ليست موجهة ضد الانسان فقط بل ضد كل شيء مخلوق من الله . ففي عجائب طرد الارواح الشريرة نجد صراعا بين قوى الشيطان وقوة الدهر الآتي (١٣) .

ولا تتضمن بعض العجائب الواردة في الروايات الانجيلية والمتعلقة بشفاء الامراض الجسدية عنصر الصراع بين قوى متضادة، ومع ذلك فكل واحدة منها رمز للملكوت وعلان عنه . ولم تكن عجائب الشفاء امثلة للايمان الشافي ولا نتيجة لانتصار العقل على الجسد ، ولا نتيجة لقوة سحرية (٨) ، بل اجترحها يسوع على اساس طاعته الكاملة للاب واتحاده به . لذلك فهي ايضا تظهر الملكوت وتدل على ان الله ليس غائبا عن العالم الذي خلقه ولا عن الانسان نفسه .

كانت المعجزات كالامثال تدعو الى التوبة . « الويل لك يا كورزين ، الويل لك يا بيت صيدا لأنه لو صنع في صور وصيدا ما صنع فيكما من القوات لتابنا من تقديم بالمسوح والرماد . . . وانت يا كفرناحوم ولو ارتفعت الى السماء فانه يهبط بك الى الجحيم لأنه لو صنع في سدوم ما صنع فيك من القوات لتبنت الى اليوم » (متى ١١ : ٢٠ - ٢٤) . وهذه الاعمال الخارقة (*Dynameis*) ليست عجائب (*Terata*) بل علامات (*Semeia*) للملكوت والاعمال (*erga*) يسوع (٩) . ولم يفعل يسوع العجائب ليرضي فضول الناس او يثير اعجابهم ولكن لكي يستجيبوا لدعوته بالقوية ، تلك التوبة التي تؤدي الى تغيير داخلي يشمل الذهن والقلب ويترجم في نمط حياتي جديد موجه الى اتباع يسوع وقبول مصيره الماسياني .

اشارة الى يسوع التي اعجابته فقال : « هذه الاعمال يعينها الذي انا اعملها هي تشهد لي بان الاب قد ارسلني » (يوحنا ١٠ : ٣٦) . وقال ايضا : « لكنكم لستم تؤمنون لانكم لستم من خرفاني » (يوحنا ١٠ : ٢٦) . ويكشف العجائب عن هوية يسوع . اظهرت الملكوت الذي دشنه بمجيئه وقد مجدت يسوع لا كفاعل للمعجزات بل كجامل للملكوت .

تخبرنا العجائب بطريقة ملموسة ان زمان الواعد قد اقتضى وان العصر الماسياني قد حضر . وتؤكد اعمال الشفاء التي اجترحها يسوع وخاصة في ايام السبوت على الطابع الاخسروري للعجائب (لمر ١ : ٢١ - ٢٧ ، ٢٩ - ٣١ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٥ - ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠) . وبقيامه بتلك الاعمال في السبت اكد يسوع صلاحياته الالهية وربط هذه العجائب بالقيامة .

« ها انا اخرج الشياطين واجري الشفاء واليوم وغدا وفي اليوم الثالث اكمل » (لوقا : ١٣ : ٣٢) (١٠) . فقيامته حققت ما كان ملحا به في عجائبه اعني انتصار الحياة على الموت . لذلك نستطيع فقط في ضوء القيامة ان نفهم بعمق تعليمه من خلال العجائب ان ملكوت الله قد اتى فعلا .

الملكوت والكنيسة

ما هي العلاقة القائمة بين الملكوت الذي تحقق ببسوع وبين الكنيسة التي ظهرت يوم العنصرة ؟ الاجابة عن هذا السؤال تتطلب الاجابة عن السؤال الهام التالي : هل اُسِس يسوع الكنيسة ، ام هي جاءت نتيجة غير متوقعة لرسالته ؟

عندما نتكلم عن مصدر الكنيسة او خلقها فلا يخطر لنا ان عملا واحدا من اعمال يسوع قد اتى بها فجأة الى حيز الوجود ، لان الانجيل تعطينا صورة مختلفة . فمما دونته من اعمال يسوع واقواله يدل على انه كان يصبو الى تأسيس الكنيسة . اذ حالما بدأ عمله الخلاصي ، بعد المعمودية والتجربة على الجبل ، جمع حوله الاثني عشر الذين اصطفاهم لأعلان اسرار الملكوت . واختياره هذا العدد بالتحديد لم يكن عينا لان في اسرائيل كان يوجد اثنا عشر سبطا . وهذا يعني اولاً ان تلك الاسباط تخصه . وقد يفهم البعض ايضا من هذا الاختيار ان يسوع كان في وده ان تقتصر البشارة على اسرائيل فقط . لكن هذا التفسير لا يتطابق مع ما ورد في الانجيل . ففي ايام يسوع كانت الامة اليهودية تتألف من سبطين او ثلاثة فقط وليس من اثني عشر سبطا (١١) . فيكون اختيار يسوع للاثني عشر لا يتعلق باسرائيل المعاصر له بل هو علامة نبوية تشير الى اسرائيل الجديد الآخروي اي الى الكنيسة التي تشارك في الملكوت وتنتمي اليه . وتشير كذلك الى ان ماسيا كان موجودا ، وانه الف جماعة خاصة به وهي جماعة ماسيائية . لم يأت يسوع ليعيش حياة العزلة والافتراد بل ليفتح ملكوت الله و « يدعو الاثني عشر » (متى : ١٤ : ١٤) الذين سيديعون بدورهم الشعب الاسرائيلي والامم كافة ليتقبلوا مواهب الملكوت . لم يختر يسوع الاثني عشر ؛ « بهذا » القطيع الصغير « ليكونوا في عزلة كما كان الاسانيون ، بل « ليتلمذوا كل

الامم» (متى ٢٨ : ١٩) ، ويشكلوا جماعة ماسيانية على رأسها ماسيا بالذات .

كان اختيار الاثني عشر تلميذا عملا فريدا ان في العهد الجديد او القديم . فايليا تنفيذاً لأمر الرب ، مسح اليشع « ليكون نبيا مكانه » (١ ملوك ١٩ : ١٥ . .) . ويوحنا اصطفى تلاميذ له ولكنه لم يفكر اطلاقا بجعلهم جماعة خاصة به ، بل كان يتوقع منهم ان يعودوا الى اعمالهم السابقة (لو ٣ : ١٠ - ١٤) . اذن لا يوجد دليل واضح على ان يوحنا او غيره من القادة قد اختار تلاميذا بالطريقة نفسها التي اصطفى بها يسوع تلاميذه (١٢) .

واللقب الخاص « ابن الانسان » الذي اطلقه يسوع على نفسه كان القصد منه تأسيس كنيسة تحمل رسالته عبر العصور . هذا اللقب يشمل عمل يسوع في ناحيته الجماعية والفردية ويشير الى اصل وسر الجماعة الآخروية المتجذرة في العالم السماوي . وقد « نمت » الكنيسة انطلاقا من علاقة المسيح بعائلته (مر ٣ : ٣١ - ٣٥ وما يوازيها) . وعائلة يسوع هي الجماعة المجتمعة باسمه اي الكنيسة . وكل الصور التي اعطاها السيد عن تلاميذه مثل « القطيع الصغير » او « ملح الارض » او « نور العالم » تدل على ان جماعة آخروية ستوجد .

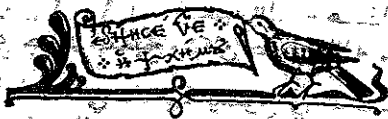
يؤكد النقاد المتطرفون على ان المسيح لم يؤسس الكنيسة وانها لم تكن ابدا احد اهدافه . لكن جواب يسوع لبطرس بعد الاعتراف به يؤكد على ان يسوع كان يريد تأسيس كنيسة : « انت بطرس ، وعلى هذه الصخرة ابني كنيسة و ابواب الجحيم لن تقوى عليها » (متى ١٦ : ١٨) (١٣) . وقد وعد يسوع بأنه سيوجد شعبا جديدا لله ، واسرائيل جديدة ، وذرية مختارة وامة مقدسة (١ بطرس ٢ : ٩) . شعب الله هذا هو الكنيسة (ekklesia) اي جسد المسيح ومكان حضور الله .

كذلك الكلمات التي فاه بها يسوع في العشاء الاخير تدل بوضوح على ان فكرة الكنيسة كانت حاضرة في ذهنه . وكان حضور يسوع عند تأسيس سر الشكر بحالتين : منظورة وسرية ، اذ كان « مع » التلاميذ و « في » داخلهم . واما الفصح القديم الذي

كان يعيد (بضم الياء وتشديد الياء وفتحها) له كذكوري للخروج
 فعدا فصحا جديدا يعيد فيه لذكوري يسوع (١٤) . وما تاملتيس سر
 الشكر الا لان يسوع اراد ان يكون حاضرا مع تلاميذه وان يبقى معهم
 « الى انقضاء الدهر » . فلو كان يظن بان النهاية اصبحت وشيكة
 لما كان بحاجة الى تأسيس سر الشكر ما دام لن يكون للكنيسة متسع
 من الوقت للعيش في التاريخ .

لقد افئتح يسوع الملكوت واسبس الكنيسة . وتشر الشواهد
 الانجيلية على انه توقع ان يبشر (يفتح الشين) بالانجيل بعد موته
 وقيامته (١٥) ، وان قوة ملكوت الله التي انبعثت من اقواله واعماله
 ستبقى فاعلة في الكرازة الانجيلية وابرار الكنيسة ، وان ملكوت الله
 سيكون حاضرا بطريقه جديده خلال الفترة الزمنية الممتدة بين
 العنصرة والمجيء الثاني . والكنيسة لا تؤلف بعد ملكوت المجد لكنها
 الجماعة الآخروية التي تعيش مرحلة الوصول الى هذا الملكوت .
 فالكنيسة تشارك منذ الآن في الدهر الآتي وتختبر مجد الملكوت في
 الوقت الذي تتوقع فيه مجيء هذا الملكوت . سبقت الكنيسة حتى
 مجيء الملكوت و « قوات الحميم لن تقوى عليها » (متى ١٦ : ١٨) .

في هذه الكنيسة التي هي ملك المسيح القائم من بين الاموات
 كتبت الانجيل وحفظت صورة المسيح ونقلت عبر الاحيال ولا نزال
 نسترشد فيها بأقواله واعماله .



الخاتمة

إن نور القيامة يضيء كل صورة المسيح التي في الإنجيل ، لأن الإنجيليين رأوا كل شيء في منظار القيامة معبرين بذلك عن اعتقادهم بأن المسيح الناهض من القبر هو نفسه يسوع التاريخي . وقد زودتنا الإنجيل بالمادة التاريخية التي تحولنا التمييز بين يسوع أثناء خدمته العامة ورب الكنيسة بعد القيامة . لكن هذه المادة نفسها تحظر علينا أي فصل بينهما لأن « يسوع » هو « المسيح » .

هذه وجهة نظر العديد من النقاد المعاصرين . لكن ينزع البعض الآخر منهم إلى التشكيك بالرواية الإنجيلية ، ويذهب إلى مواقف متطرفة . وهؤلاء غالبا ما يركزون على ما يبدو لهم معقولا مما هو خلقي أو لاهوتي ولزينا نفسي . ويفرقون بين يسوع التأسري ومسيح الايمان . هذا النوع من النقد عامة ينطلق من رغبة الناقد في التخلص من كل عنصر فائق الطبيعة ومن نفي أي تدخل لهذه العناصر في التاريخ .

المنهج النقدي المطبق حاليا لم يبلغ حفا الكمال ولكنه رغم محدوديته يبقى الأفضل بين المناهج الموجودة حاليا . ولا يوجد منهج معصوم عن الخطأ . فالمنهج التفسيري الآبائي الذي يبحث في التماثل الداخلي بين بعض الشخصيات والأحداث التاريخية في العهدين القديم والجديد قد أدى أيضا إلى بعض التطرف . فتماديهم في البحث عن هذه العلاقات الداخلية أضعف القيمة التاريخية لكل من العهدين القديم والجديد وقلل من شأن الاطوار التاريخي للإعلان الإلهي . لكن بالرغم من هذا فإن بعض نتائج التفسير الرمزي للكتاب تبقى ذات قيمة ثابتة . فقد حدد آباء الكنيسة العلاقة بين العهدين وظهروا في تفاسيرهم وحدة الكتاب المقدس كما عبروا عن المعنى اللاهوتي لأحداث حياة المسيح . وهكذا كان نهجهم ضروريا من الناحيتين التاريخية واللاهوتية .

أما ادخال المنهج الحديث في التفسير الكتابي فلا يعني رفضاً لمنهج التفسير الرمزي بل تشجيع للنقاد الحديثين كي يعتمدوا نتائجه ومنجزاته . فأباء الكنيسة اساتذة لنا وعلينا ان نبنى موقفهم من الكتاب المقدس . لقد تأملوا الكتاب المقدس جيداً واحبوه فتمكنوا ان يكشفوا لابناء عصرهم ولنا كثيراً من اسراره ومعانيه . غير اننا لا نستطيع استخدام منهجهم للاجابة عن اسئلة تاريخية تثار اليوم . وهكذا فان كان منهجهم لا يلائمنا دائماً فعلياً ان نقتنى مواقفهم ورؤيتهم وان نقرب من الكتاب المقدس بروح اولئك الذين كرسوا حياتهم من اجل الوصول الى فهم صحيح له . وتجدر الإشارة الى ان موقف الآباء من الكتاب المقدس لا يتعارض بالضرورة مع الدراسات التاريخية التي يقوم بها العلماء المعاصرون .

تضطرنا الانجيل الى اثاره تساؤلات تاريخية ، وعقيدة التجسد نفسها : « الكلمة صار جسداً وحل فينا » (يونا : ١٤) . تستدعي البحث الكتابي . اذ اننا لا نستطيع ان نعلن عن عمل الله في التاريخ ونهمل في الوقت نفسه البحث التاريخي في مدونات هذا الإعلان الالهي ابي الكتاب المقدس . ورفض لبحث كهذا يقود الى التقليل من أهمية التجسد التاريخي . ويؤدي الى احياء الميول الدوسيتية والتي تشجع التعليق الاعمى بالحرف في الكنيسة على نحو خفي (crypto-fundamentalism) .

لقد جعلنا النقد الكتابي نتأكد من ان الهم الاوحد للانجيل هو الشهادة بان يسوع هو الرب ، علماً بان الذين يستخدمون المنهج النقدي لا يستطيعون ان يبرهنوا او يدحضوا صحة هذا التأكيد . وعندما اعترف بطرس بالوهية المسيح قائلاً : « انت هو المسيح ابن الله الحي » ، اجابه يسوع : « طوبى لك يا سمعان بن يونا ، فانه ليس لحم ولا دم كشف لك هذا ، لكن ابني الذي في السموات » (متى : ١٦ : ١٦ - ١٧) . لا يستطيع النقاد ان يبرهنوا او يدحضوا ان يسوع هو ابن الله الحي ، لكنهم يستطيعون التأكيد ان التلاميذ المسيح الذين عايشوه وتقبلوا تعليمه ، فارسلهم ليبشروا به ، هؤلاء آمنوا به وتعبدوا له . اننا نعترف بيسوع بواسطة شهادتهم . اننا نتصلح لا للتأمل فقط ، بل للبحث التاريخي .